الذاتية هي اللغة الوحيدة المقبولة في عالم الفن على وجه الخصوص. فإذا كان المجتمع الصناعي يحاول تسليع وتشييئ وضبط كل شيء بما في ذلك العمل الفني، فإن الثورة على هذا الاتجاه هي إعلان أن العمل الفني فريد مكتف بذاته، لا علاقة له بالسوق أو المصنع، فهو يعبِّر عن عالم المبدع الجوَّاني، ولذا فهو مرجعية ذاته، لا مضمون له (تعليق المضمون). ولهذا السبب نجد أن الفن الحداثي يزداد إبهاماً وتعقيداً حتى أصبح فناً نخبوياً، رغم ثورته على البورجوازية! وقد عبَّرت هذه الثورة عن نفسها في مجالات المعرفة الإنسانية الأخرى مثل فلسفة العلوم وعلم اللغة. ففي علم اللغة، أصبحت اللغة هي مرجعية ذاتها، مكتفية بذاتها ولا مضمون لها، وابتعدت اللغة عن المعنى. وهذا ما يتم التعبير عنه بتعبير «انفصال الدال عن المدلول»، أو «اللغة تسبق الواقع».

الثورة البنيوية وما بعدها:

البنيوية هي حركة فكرية تستبعد الذات الإنسانية، وتركز على دراسة البنية (المجردة ـ الهندسية) التي تتجاوز الذات، حتى إن البنيويين يتحدثون عن أن البنية تتحدث من خلال الإنسان، وليس الإنسان هو الذي يتحدث من خلال البنية (أي أن البنية هي التي تسبق العقل، شأنها في هذا شأن «مطلقات» أخرى مثل اللغة والجسد والجنس). ومع هذا، فثمة نزعة إنسانية كامنة في الثورة البنيوية. فهي ثورة على الوضعية المنطقية بنزعتها الإمبريقية الحادة، التي يصل بها الأمر إلى إلغاء العقل. أما البنيوية فهي تؤكد المقدرة التوليدية للعقل البشري، وتحاول أن ترى تماثلاً (بالإنجليزية: هومولوجي homology) بين العقل والبنى التي يولِّدها، وتماثل البنى هو في واقع الأمر نتيجة أن العقل البشري هو الذي ولَّدها وأبدعها.

والبنيوية تطبيق لنموذج دي سوسير اللغوي على مجالات النشاط الإنساني المختلفة، ولذا نجد أن استراتيجية البنيويين هي محاولة توسيع الثغرة بين الدال والمدلول، تماماً مثلما حاول دي سوسير، واضع أساس علم اللغة البنيوي (ورائد